

الموقف الكتابي الصحيح تجاه ما يحصل في فلسطين بقلم: شكري حبيبي

(نص المحاضرة التي أقيمت في ندوة الكنيسة الإنجيلية ببساديننا، بتاريخ 10 أيار، مايو - عام 02)

ما هو الموقف الكتابي الصحيح تجاه الأحداث المريعة التي تجري في فلسطين؟

- هل نبرر الإحتلال الإسرائيلي والتدمير والمجازر بحجة أن اليهود هم شعب الله، وأن وعود الله لهم تتحقق؟
- كثيرون من المؤمنين في حالة حيرة شديدة تجاه هذا الأمر. فهم يسمعون الوعاظ هنا في أميركا يدافعون عن سياسة اسرائيل وبشكل أعمى ومطلق استنادا على الكتاب المقدس، ويبررون أفعالها، ولكنهم في نفس الوقت يرون تناقضا كبيرا بين ما يجري وحقوق الإنسان البديهية، ولا يستطيعون عاطفيا كعرب قبول هذه التفسير. وهم يريدون معرفة الحقيقة.

- فهل مازال اليهود شعب الله الأرضي؟ وماذا عن موعد الأرض؟ وماذا وأسئلة كثيرة.
- لكي نوضح موقفنا ونجيب عن هذه التساؤلات وغيرها الكثير، نريد أن نطرح الموضوع من جانبين.

الجانب الأول: ما هي الأسس التي تعامل فيها الله مع إسرائيل في العهد القديم.

الجانب الثاني: ماذا عن تعليم الكتاب المقدس حول موضوع اسرائيل وموعد الأرض؟

الجانب الأول: ما هي الأسس التي تعامل فيها الله مع إسرائيل في العهد القديم.

لا أحد يشك بقداسة الله وعدالته، فالله هو إله قدوس وعادل،

تشية ٣٢:٣ و٤: أنشد موسى قائلا: "إني باسم الرب أنادي. اعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل له أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو."

وطلب الله من شعبه القديم الذي هو اسرائيل، أن يبتعد عن الشر ويصنع العدل، وحذرهم من الظلم والجور.

بعض الشواهد:

لاويين ١٩:١٥: " لا ترتكبوا جورا في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك."

أمثال ٣١:٩: " افتح فمك. اقض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين."

إشعيا ٥٦:١: " هكذا قال الرب. احفظوا الحق واجروا العدل."

إشعيا ١:٢١: " كيف صارت القرية الأمانة زانية. ملآنة حقا كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون."

حزقيال ٤٥:٩: " هكذا قال السيد الرب. يكفيكم يا رؤساء إسرائيل. أزيلوا الجور والاعتصاب وأجروا الحق والعدل."

وتطبيقا لهذه الأسس نلاحظ في تاريخ إسرائيل قديما ما يلي:

- أن الله لم يسمح لبني إسرائيل بدخول أرض الموعد قديما لمدة أربعمئة وثلاثين سنة، بالرغم من عهده مع إبراهيم، إلا بعد إكمال ذنوب الشعوب التي كانت تسكن هناك. قال الله لإبراهيم: "وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا." (تك ١٥:١٦)

وقال الرب لبني إسرائيل: "لاتقل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا: لأجل بري أدخلني الرب لأمتك هذه الأرض. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك." (تث ٩:٤-٦)

- لم يسمح الله بدخول الجيل الذي خرج من مصر إلى أرض الموعد بسبب عصيانهم وتمردهم عليه. ما عدا شخصين اثنين هما يشوع بن نون وكالب بن يفيثة. حتى موسى نفسه لم يدخل أرض الموعد. أليست هذه حقيقة يجدر بنا أن نأخذها في الحسبان عندما نتحدث عن إسرائيل اليوم.

- وطلب الله من بني إسرائيل أن يعاملوا الغرباء في وسطهم كنفوسهم. " وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر. أنا الرب إلهكم." (لاويين ١٩:٣٣ و٣٤)

- إن الله لم يسمح للملك داود ببناء الهيكل والسبب ليس لأنه أخطأ خطيئته الشنيعة المعروفة، لكن لأنه سفك دماء كثيرة. (أخبار الأيام الأول ٢٢:٧و٨) " وقال داود لسليمان يا ابني قد كان في قلبي أن أبني بيتا لاسم الرب إلهي. فكان إليّ كلام الرب قائلاً قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبني بيتا لاسمي لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي."

- ودان الرب الملك آخاب وامراته ايزابل عندما قتلا نابوت اليزرعيلي وأخذا حقله. (ملوك الأول ٢١)

- لقد كان عهد الناموس الذي عقده الله مع بني إسرائيل عهدا شرطيا. " فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب..." (خروج ١٩:٥و٦) " أنظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة. البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم. واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها." (تثنية ١١:٢٦-٢٨)

لقد حذر الله بني إسرائيل منذ أن عقد العهد معهم في سيناء وأنذرهم مرات عديدة أنه سيطردهم ويشنتهم بين الشعوب إن لم يحفظوا عهده معهم. وهذا ما حصل بعدئذ إذ دان الله مملكتي اسرائيل ويهوذا بسبب شرورهم وعصيانهم وابتعادهم عنه، وسمح بتدمير دولتيهما وسبيهما إلى آشور وبابل.

يتضح لنا من كل هذه الشواهد أن الله قدوس وعادل، وقد تعامل مع بني اسرائيل شعبه القديم على هذا الأساس. والسؤال الآن: هل تغير الله؟ وإذا كان الله في العهد القديم قد تعامل مع بني اسرائيل على هذه الأسس، فكيف به يتعامل معهم اليوم ونحن في العهد الجديد، وبعد أن رفضوا أن يملك عليهم المسيح منذ ألفي سنة؟ وماذا عن وضع اليهود الروحي اليوم؟ ألا يرفض معظمهم اليوم حتى الدين اليهودي نفسه؟ وهل من المعقول أن يقبل الله القدوس والعادل ما يمارسونه من احتلال وبناء المستوطنات على أراضي ليست لهم؟ وكيف يستطيع بعض المسيحيين تبرير أعمالهم في الأراضي المحتلة. أولا يجب علينا كمؤمنين وأولاد الله ونعرف كلمة الله المقدسة، أن نقف مع العدل والسلام في فلسطين ونصلّي من أجله، وأن نستنكر الاحتلال؟

قال الجامعة ٨:٥ " إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا ترتع من الأمر. لأن فوق العالي عاليا يلاحظ والأعلى فوقهما."

إن الحركة الصهيونية هي حركة قومية سياسية عنصرية لا علاقة لها بالدين اليهودي، وقد اختارت فلسطين موطنها لها لكي تكسب عطف العالم الغربي، مع العلم أن معظم اليهود اليوم ليسوا من نسل ابراهيم بحسب الجسد بل هم من الأوروبيين الذين تهودوا في القرن السابع الميلادي. فهل ترانا ننخدع بالدعاية الصهيونية، وبما يعلمه مع الأسف أيضا بعض المعلمين المسيحيين؟

الجانب الثاني: ماذا عن تعليم الكتاب المقدس حول موضوع اسرائيل وموعد الأرض؟

علينا أن نحدد في البداية بعض القواعد الرئيسية لبحث هذا الموضوع الهام والخطير.

القاعدة الأولى: أنه يجب تفسير العهد القديم على ضوء تعاليم العهد الجديد، وليس العكس.

القاعدة الثانية: أن العهد القديم كان يرمز ويشير إلى العهد الجديد.

القاعدة الثالثة: أننا يجب أن ننطلق من الأمور الواضحة جدا في الكتاب المقدس ونستند عليها لمحاولة تفسير الأمور الغامضة، أو التي يصعب علينا فهمها، وليس العكس.

سؤال هام: متى وجدت مشكلة موضوع إسرائيل؟

يظن الكثيرون أن مشكلة موضوع اسرائيل وجدت في القرن الماضي فقط. لكن الحقيقة تقول أنها وُجدت عند مجيء وتجسد الرب يسوع المسيح. ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه المشكلة كان تلاميذ المسيح هم أول من أثاروها. قال تلميذا عمواس للمسيح بعد قيامته: (لوقا ٢٤: ٢١) "كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي اسرائيل".

لكن بماذا أجابهما المسيح: " أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتداء من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب." (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧).

ولهذا سيتفاجيء الكثيرون عندما أقول الآن أن تلاميذ المسيح والرسل الاوائل وجدوا الحل لهذه المشكلة، وأن هذا الحل موجود وبشكل واضح في كتب العهد الجديد. لابل إن العهد الجديد يقدم لنا رأيه في اسرائيل بحسب الجسد.

الجواب جاهز وموجود منذ مجيء وتجسد الرب يسوع المسيح. الحل لمشكلة إسرائيل موجود إذن وبشكل واضح في كتب العهد الجديد. فلماذا إذن كل هذه البلبلة والتشويش والتناقضات؟

بالنسبة لموضوع اسرائيل كما في كل موضوع هناك عدة تفسيرات طُرحت. لكن أخطر هذه التفسيرات والذي أثار البلبلة هو التفسير المعروف ب النظرية التدبيرية، أو Dispensations والذي هو منتشر مع الأسف حتى بين المؤمنين العرب. وقد نشأ هذا التفسير في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فقط.

وباختصار يستند هذا التفسير على الفرضية القائلة: أن المسيح لم يتم في مجيئه الأول نبؤات العهد القديم، وخاصة المتعلقة بإسرائيل. وهذا افتراض خطير. وعلى أساس هذا الإفتراض الخاطئ قام هذا التفسير. فظهرت نظرية الملكوت المؤجل، وأنه مازال يوجد لله شعبان شعب سماوي هو الكنيسة، وشعب أرضي هو إسرائيل. وأن فترة الكنيسة هي فترة معترضة في تاريخ معاملات الله مع الإنسان، بدأت بيوم الخمسين وتنتهي بالاختطاف.

إذن إن الخلاف بيننا وبين هذا التفسير هو خلاف جوهري حول المجيء الأول وليس فرعياً كما يحاول البعض أن يدّعي. وبالحقيقة نستطيع القول أن هذا هو التفسير الصهيوني للكتاب المقدس.

لكن السؤال هو: هل تحققت في مجيء المسيح وعود الله لإسرائيل؟ سأترك الآن كتب العهد الجديد لكي تجيبنا عن هذا السؤال الهام.

واستناداً على كتب العهد الجديد سأحدث الآن وباختصار عن الموضوعات التالية:

أولاً: تحقق وعود الله كلها لابراهيم في المسيح وبشكل كامل.

ثانياً: أن العهد الجديد قد حلّ مكان عهد الناموس.

ثالثاً: أنه يوجد شعب واحد لله يضم جميع المؤمنين بالمسيح.

رابعاً: أن كل نبؤات العهد القديم المتعلقة بالبركة لإسرائيل قد تمت في المسيح وملكوت الله الذي أعلن بمجيئه.

خامساً: يخبرنا العهد الجديد عن موقف الله تجاه إسرائيل بحسب الجسد.

أولاً: تحقق وعود الله لابراهيم في المسيح وبشكل كامل:

نحن نعلم أن الله وعد ابراهيم عدة وعود أهمها وعدان هما:

أ: أنه بنسلك تتبارك جميع قبائل وأمم الأرض. وقد فسّر لنا الرسول بولس هذا الوعد أن النسل المقصود هنا هو الرب يسوع المسيح. فقال: " وأما المواعيد فقبلت في ابراهيم وفي نسله. لايقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح." (غلاطية ٣: ١٦).

ب: وعد الله ابراهيم ونسله بالأرض من النيل إلى الفرات. وقد تحقق هذا الوعد حرفيا في أيام الملك سليمان. نقرأ في أخبار الأيام الثاني عن سليمان: " وكان متسلطا على جميع الملوك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. " (أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٦) أي من الفرات إلى النيل.

لكن المشكلة أن التفسير التدبيري يقول أن وعد الله لإبراهيم بالأرض كان وعدا ابديا وغير مشروط. فكيف فسّر لنا الرسول بولس في العهد الجديد هذا الوعد؟ وكيف تحقق هذا الوعد في العهد الجديد؟

قال: " فإنه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم ونسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطلّ الإيمان وبطل الوعد. (رومية ٤: ١٣ و ١٤)

وارثا لماذا: للعالم؟ عجيب لماذا قال الرسول بولس هنا وارثا للعالم، مع أن الله كان قد وعد إبراهيم بالأرض من النيل إلى الفرات؟ والجواب: لأن كل الأمور في العهد القديم كانت ترمز وتشير إلى حقائق روحية ستتم في العهد الجديد. فأرض كنعان كانت ترمز وتشير إلى ملكوت الله والبركات الروحية والسماوية. ولأن كل ما كان يتعلق بإسرائيل في العهد القديم صار متوفرا وشاملا لجميع الأمم في العهد الجديد. ألم يقل المسيح في مواعظته على الجبل: " طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض؟ " (متى ٥: ٥)

والأمر الأعجب الآخر أن الرسول بولس أكد لنا هنا، أنه "إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطلّ الإيمان وبطل الوعد." أي إن كان فقط الورثة هم بنو إسرائيل فلم يعد لإيمان إبراهيم أي دور، وبالتالي لبطل وعد الله له. وبتعبير آخر أكد لنا الرسول بولس هنا أن وعد الله لإبراهيم بورثة الأرض لم يعد بعد مجيء المسيح له علاقة، أو محصورا فقط بنسل ابراهيم بحسب الجسد، أي بإسرائيل.

أليس أمرا غريبا أنه بعد ألفي سنة من كتابة الرسول بولس هذه الواضحة جدا، يأتي من يدّعي أن وعد الله لإبراهيم ونسله الجسدي بالأرض مازال حيا وقائما؟

لكن لمن هذا الوعد إذن يا بولس؟ أجابنا: " ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضا لمن هو من إيمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا. كما هو مكتوب إني قد جعلتك أبا للأمم كثيرة. " (رومية ٤: ١٦ و ١٧) أي أن هذا الوعد صار لكل من يؤمن كما آمن إبراهيم. وبتعبير آخر صار لكل المؤمنين بالمسيح، من الأمم واليهود.

وعاد الرسول بولس وأكد هذه الحقيقة في رسالته إلى غلاطية عندما قال: " فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة." (غلاطية ٣: ٢٩) عن أي موعد لإبراهيم وعن أية وراثة يتحدث هنا الرسول بولس؟ طبعاً عن موعد الأرض ووراثتها والبركات الأرضية، والذي أصبح في العهد الجديد، موعد ملكوت الله ووراثته والبركات الروحية السماوية، التي ينالها كل من يؤمن بالمسيح.

ما هو سر المسيح؟ ولقد أكد الرسول بولس هذه الحقيقة مرة ثالثة أيضاً وبكل وضوح في رسالته إلى المؤمنين في أفسس، عندما كتب عن سر المسيح الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسوله القديسين وأنبيائه بالروح: "أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل." (أفسس ٣: ٦) وبتعبير آخر إن سر المسيح هو أن الوعد لإبراهيم بورثة الأرض لم يعد متعلقاً ببني إسرائيل فقط بل صار يشمل جميع الأمم.

ثانياً: عهد الناموس والعهد الجديد الذي حلّ مكانه:

كان عهد الله مع إبراهيم الذي هو أب لجميع المؤمنين كما لاحظنا، عهداً يختلف بالكلية عن عهد الله بالناموس مع بني إسرائيل أو بني يعقوب. فقد كان عهد الناموس عهداً شرطياً، ومع بني إسرائيل فقط. وكما هو معروف فقد نقض بنو إسرائيل هذا العهد. وكتب لنا النبي ارميا قائلاً: أنه عندما نقض بنو إسرائيل عهدهم مع الله رفضهم الرب. " حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب." (ارميا ٣١: ٣٢)

ولكن النبي ارميا تنبأ في نفس الوقت عن العهد الجديد الذي سيقمه الله مع بني إسرائيل ومع بيت يهوذا، حيث سيجعل شريعته في داخلهم ويكتبها على قلوبهم. وهو يكون لهم إلهاً وهم يكونون له شعباً. فهل تمّ هذا العهد الجديد؟

يخبرنا سفر العبرانيين في نهاية الأصحاح السابع وفي الأصحاح الثامن، أن هذا العهد الجديد قد تمّ بمجيء المسيح، رئيس الكهنة الحقيقي الذي دخل إلى قدس الأقداس الحقيقي في السماء. وأنه لو كان ذلك الأول أي عهد الناموس بلا عيب لما طلب موضع لثان. واعتبر أن نبوءة ارميا، في أن الله سيقم عهداً جديداً مع بني إسرائيل وبيت يهوذا، قد تمت في هذا العهد الجديد الذي أقامه المسيح بدمه. لا بل ختم الأصحاح بهذه الآية الهامة جداً: " فإذا قال جديداً عتق الأول. وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال." (عبرانيين ٨: ١٣).

وبمعنى آخر اعتبر كاتب سفر العبرانيين أن عهد الناموس مع بني اسرائيل قد انتهى واضمحل وبشكل كامل ومطلق. وانتهت معه بالطبع كل الوعود بامتلاك الأرض والبركات الأرضية. وحل مكانه عهدا جديدا لا يقتصر على المؤمنين بالمسيح من اليهود فقط، بل يشمل كل من يؤمن.

والغريب في الأمر أن بعض متطرفي التفسير التدييري يعتبرون أن الله سيعود ويقيم عهدا جديدا آخر مع بني اسرائيل فقط، في المستقبل. وهذا مخالف تماما لما كتبه لنا سفر العبرانيين.

ويخبرنا العهد الجديد أن عهد الناموس كان عهدا لفترة مؤقتة. تساءل الرسول بولس: "فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له." "كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن." وشبه الإنسان تحت الناموس بالوارث القاصر الذي هو تحت أوصياء وكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه. (راجع غلاطية ٣، ٢٣، ١٩: ٤ و ١-٣)

ثالثا: أنه يوجد شعب واحد لله، يضم جميع المؤمنين بالمسيح.

رعية واحدة وراع واحد: قال الرب يسوع المسيح: " ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد." (يوحنا ١٠: ١٦)

وكتب الرسول بولس في الأصحاح الثاني من رسالته إلى المؤمنين في أفسس قائلا: " لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (أي اليهود والأمم) واحدا ونقض حائط السياج المتوسط. أي العداوة. مبطلا بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانا واحدا جديدا صانعا سلاما، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به." (أفسس ٢: ١٤-١٦)

وكتب في رسالته إلى رومية قائلا:

" التي أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا. كما يقول هوشع أيضا سادعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي." (رومية ٩: ٢٤-٢٦)

وماذا عن رومية ٩ و ١٠ و ١١؟

المفتاح لفهم هذه الإصحاحات: " ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت. لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد." (رومية ٩: ٦ و ٧)

الخلاص بالمسيح، زيتونة واحدة، شعب واحد لله، البقية التقية (خلاص المختارين من إسرائيل بحسب الجسد) واكتمال عدد إسرائيل الروحي.